إنها ليست أمريكا.. والت ويتمان
إنها ليست أمريكا.. أدغار ألن پو

. حميد سعيد .

حَجَرٌ نَتِنٌ..
وبيوتٌ تَشيخُ القنافذُ في صمتِها والعظايا.
لقد رحلَ الشعرُ..
لم يبقَ في بيت ويتمان إلاّ جُذاذاتٌ ممحوّةٌ
كان خبّأها في مدارات أعشابه،
ثمّ حاولَ أن يودِعَ الطمأنينةَ فيها..
فغادرَهُ صوتُهُ.
قيل لي:
«حيثُما تجدُ القمرَ الأسودَ يُملي تعاويذَهُ
على أدغار ألن پو، انتظرْ ساعةً..
وستأتي أناشيدُهُ من طقوسِ الحدادْ!»

كلّما حاولَ أدغار ألنْ پو كتابةَ أحلامِه
لم يَجِدْ في المعاجمِ ما يتخطّى به خَوْفَهُ.
ليس من عاشقٍ في المدينةِ..
أو شاعرٍ..
ليسَ من ساحرٍ..
سيقولُ لسيِّدةِ النُّزل: «باركَكِ اللّهُ!»
تسألهُ من يكون؟!
ويقول «أُحبُّكِ!» تضحك ثم تقولُ:
«أمّا أنا، فأُحبُّ البطاطسَ يا سيدي
وأحبُّ المقانقْ!»

كان يبحثُ عن مومياءِ طفولتِه.
كان يبحثُ عن مومياء صباهْ.
كان يبحثُ عن مومياء حبيبتِه.
كان يبحثُ عن مومياء القصائدِ..
عن مومياءِ الحدائقِ.. عن مومياءِ الشَجَرْ.
كان يبحثُ عن مومياء الأغاني التي رافقتُه
إلى أُمسيات مواعيدِه.
كان يبحث عن نفسِه..
فرأى مومياءَ حرائقِه..
ورأى مومياءَ الرمادْ.
«مقبرةٌ هذه المدينةُ،»
هكذا تصفُ المنشداتُ الخلاسياتُ نيويورك.
«مقبرةٌ هذه المدينةُ،»
هكذا كان راعي الكنيسة يبدأ خطبتَهُ
ويقولُ:
«بوّابة الجحيمِ.. هذي المدينةُ..
وحشٌ ينام على فراشٍ من الدمِ والعُملاتِ..»
هكذا رأى غارثيا لوركا حدائقَها..
ورآها..
تُحنِّطُ الجازَ والمرايا.

قبل أن يَقْضم تمْساحُ أحلامِها نهدَ جارتها،
لم تكن مارلين مونرو تُبيحُ ينابيعَ فتنتِها
ولم تكُ تعرفُ أنّ الطريقَ إلى ليلِ فضّتها سيغطّيه هذا الجليدْ،
وأنّ رمادَ حدائقها سيُغطّي الجليدْ.
جسدٌ عبّأتهُ العواصفُ بالضوءِ والرعودِ.
توّجتهُ الصواعقُ بالخرافاتِ..
أهدَتْ إليه الكواكبُ ما اختزنتْهُ البراكينُ..

ألقت به في الجحيمِ..
لتأكلهُ هوليودْ.
أخرقٌ وكئيبٌ، غرابُ ألِنْ بو..
الكالحُ المتجهِّمُ..
روحُ الظلام الذي جاءَ منهُ غرابُ ألِن بو.
كان الجحيمُ يوقظ الغرابَ الأخيرَ في سلالته،
ويسمِّيه جورج دبليو بوش..
الأخرقَ الكئيبَ والكالحَ المتجهِّمَ..
ويُسَمِّيه حارسَ حقلِ شياطينه..
الأخرقَ الكئيبَ والكالحَ المتجهِّمَ..
هذا الذي يقيمُ الخرائبَ في ظلالِ الأساطيرِ،
ثمّ يُقيمُ الخرابْ.

تتدلّى العواصفُ من ناطحات السحابِ،
ويقتسمُ الرعبُ ما خبّأه المَصْرفُ..
والجشعُ..
القادمان من بردِها المتوحِّشِ..
من ليلها..
والمقيمان بينَ مزاميرِها والصنوجِ.
هل أفَلَتْ نجمةُ الجاز؟!
هل رَهَنَ المُغنّي عُواءَ شياطينه
وأعادَ نداءَ المفازات؟!
يَحْتَرِقُ الشجَنُ الأسودُ.. يحترقُ الجسدُ الغابُ..
والصابُ تنزلُ في ظلموت الظنونْ.

أن تكون..
فهذي بلادٌ تُرقِّشُ أحلامَ أطفالها
باغتصابِ الحدائقِ.
أوْ لا تكون..
فهذي بلادٌ ترى في اغتصاب القصائد... أنفالَها
الكوابيسُ... ثم الكوابيسُ... ثم الكوابيسُ
منذ وصول الغزاةِ من البحرِ.. حتى خروج الغزاةِ من البحرِ
أو من دماءِ الملايين.. حتى دماء الملايين.
وحشُ الكوابيس..
يَنْهشُ حنجرةَ البلبلِ المضيءِ،
ويَغْصبُ شجو الحَمامْ.

جورج دبليو بوش..
رُبّما.. سيدقُ غرابُ ألِنْ بو بابَكَ في لحظةٍ
تتوارى عن الناس فيها.
أيُّها الدمويُّ العُصابيُّ،
ماذا تركتَ وراءكَ غيرَ الدماءِ التي تملأُ الأرضَ
من كُلِّ عرقٍ ومن كلِّ لونٍ..
تقولُ:
ماذا تركتَ لنا غيرَ أوجاعِنا..
وشواهدِ أحلامنا.
وتركتَ لنا خوفَ أطفالنا؟
أيُّها الدمويُّ العصابيُّ، ماذا تركتَ وراءَك؟
ماذا تركت؟

جورج دبليو بوش..
مَنْ سيقتربُ الآن مِنْ دُمْيَةٍ في إهابكَ.. منْكَ؟
ومَنْ سيُقرِّبُ بينَ الصواعقِ والغابِ؟
مَنْ سيوحِّدُ بين الصلاةِ وسوطِ العذابِ؟
أيُّها الصبيُّ الكحوليُّ..

كُنْ وقِحًا وغبيًا وفظًا.. وكُنْ سافلاً..

مثلما أنتَ!

كُنْ قاتلاً.. مثلما أنتَ..

لكنّنا سنكونْ!

أرأيتَ الشعوبَ تَخْرجُ من كلِّ فجٍّ عميقْ؟

أرأيت أحبَّتنا، أهلَنا، في الطريق؟!

أمريكيون..

طُلاّبٌ، شعراءٌ، موسيقيون، أكاديميون، أطباءٌ، قانونيونَ ولاهوتيون

حمرٌ، سودٌ، بيضٌ.. لاتينيون وصينيونْ

يَقْترحون بلاداً..

تبدأُ مِنْ خارجِ خارطةِ الإعصارِ

ومِنْ أوّلِ أسرارِ الأشجارْ.

أمريكيون..

فقراءٌ، بسطاءٌ، شفّافونْ..

مُنْشَقّون عن الكابوسْ

عن مَلِكِ السوسْ!

لم يرَ الشعراءُ سماءَ نيويورك..

ضيَّعَ غارثيا لوركا النجومَ التي رافقتْهُ إليها.

حاولَ..

حاولَ..

كانَ النحاسُ يعتقلُ الماسَ..

والدخانُ يصطاد آخر ضوءٍ تفلّت من كوكبٍ خائفٍ.

كان الرصاصُ على كل جدرانها، وعلى كل أشجانِها.

الرصاصُ على كل بابْ..

وكتابْ..

على كل حرفٍ وفاصلةٍ.. في كتاباتِ أقنانِها.

لن يرى الشعراءُ سماءَ نيويورك!

عمّان

في العدد القادم:

قصص : **محمود سعيد، سمير طاهر، إيّاد البرغوثي، ناصر الربّاط...**

ملف : **نقد الخطاب الأمازيغي**

مقالات : **علي العبد الله، أسعد أبو خليل،...**

يوميات : **أحمد عُلَبي**

دراسة أدبية : **فاروق مواسي**

سلسلة الحركة الشيوعية العربية (٤): أحمد بهاء الدين شعبان

مناقشات : **رجاء الناصر، شريف يحيى الأمين**